سلسلة الإعتصام بالكتاب و السنة -٢-

شرح الأصول الستة

للإمام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

للشيخ

أبي عبد الباري

العيد بن سعد شريفي

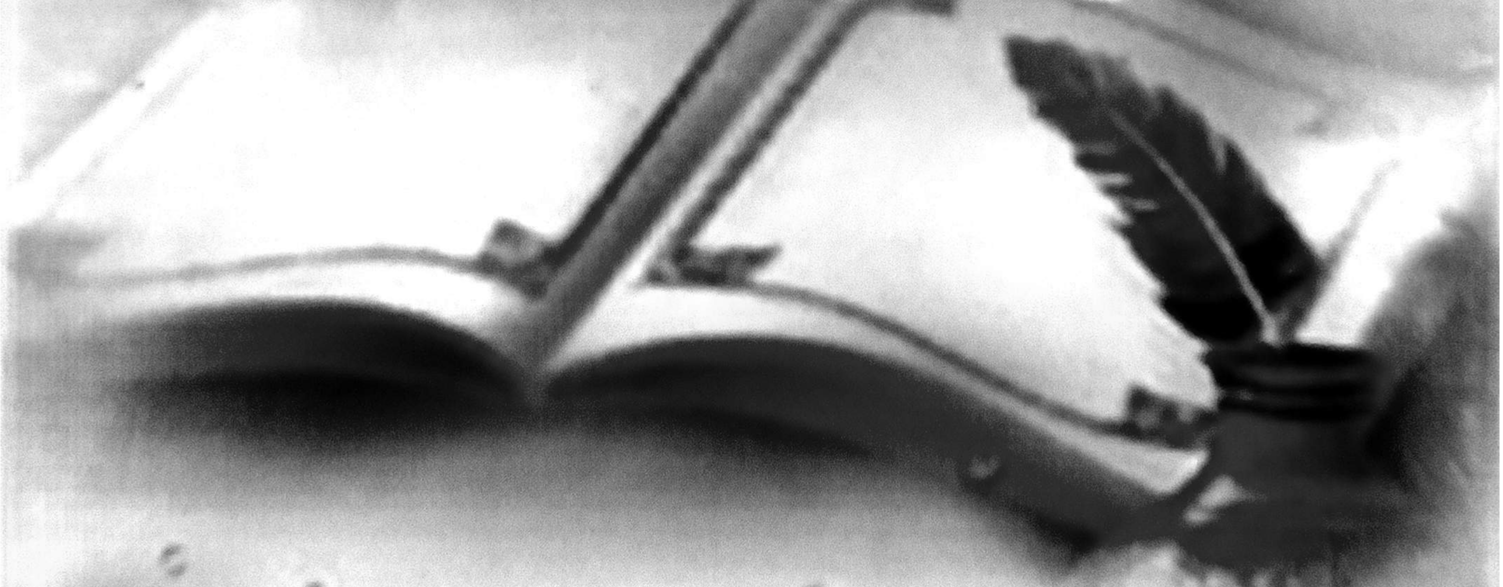

شرح
الأصول الستة

للإمام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

للشيخ:
أبي عبد الباري العيد بن سعد
شريفي

بسم الله الرحمن الرحيم

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٧-٢٠٠٦

الناشر :

تسجيلات الغرباء الأثرية

١٨ شارع أحمد حسينة باب الواد الجزائر

فاكس : ٠٢١٩٦٦٢٠٩

المحمول: ٠٧٠٣٠٢٣٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله الذي أكمل دينه فقال:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، سطّر فيه نظام الحياة للعباد فقال:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢]، فلا تخرج حركة من حركات العباد عن أمره ونهيه، ووعد من حقق العبودية له بالفوز بالجنان والعيش الدائم تحت ظلال الرحمن، ولما كانت هذه الأعمال لها صلة بالله سبحانه وتعالى، فلا يقبل منها صرفا ولا عدلا إلا ما كان خالصا لوجهه، قال ﷺ:«من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».[1]

والإنسان اجتماعيّ بالطبع، فلم يُهمل الله هذا الجانب فشرع لعباده نظاما متكاملا وجعل من أعظم ركائزه الأخوة الإسلامية الموجبة للاجتماع والوحدة فقال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠]، فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمانَ السببَ الأساسي لهذه الأخوة بل جعل رابطة الدين

---

[1] أخرجه أحمد برقم : (٧٦٥٨-٩٢٤٦) و مسلم برقم : (٥٣٠٠) و اللفظ له ، وابن ماجه برقم:(٤١٩٢).

أقوى من رابطة البُنوّة والأُبوّة فقال تعالى ـ لما قال نوح رب إن ابني من أهلي ـ:﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾ [هود:٤٦]، وقال:﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ ﴾ [التوبة:١١٤].

ومن طبيعة البشر إذا اجتمعوا أن يكون لهم قائد يقودهم، قال ﷺ: «...اتخذ الناس رؤوسا جهالا...»[(١)]، فنظّم الله العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ولابدّ لأمة اجتمعت أن يترأّس عليها قائد ممّن يعلمها أمر دينها ويرشدها قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:٢]، وقال تعالى لما أرسل موسى إلى فرعون:﴿ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [النازعات:١٨-١٩]، وقال تعالى: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل:٤٣]، وقال ﷺ :«العلماء ورثة الأنبياء»[(٢)] فبين رسول الله ﷺ في هذا الحديث أن العلماء الذين يُرجع إليهم في النوازل هم ورثة الأنبياء الذين أخذوا علمهم عن النبي ﷺ، وكل من لم يأخذ من مشكاة النبوة فليس بعالم ولو شهد العالَم بأسره بأنّه عالِم، وصدق من قال:

---

(١) أخرجه أحمد برقم:(٦٢٢٢-٦٤٩٨) و البخاري برقم:(٩٨)، ومسلم برقم:(٤٨٢٨)،والترمذي برقم:(٢٥٧٦)، وابن ماجه برقم:(٥١)، و الدارمي برقم:(٢٤١).

(٢) أخرجه أحمد برقم:(٢٠٧٢٣) و الترمذي برقم:(٢٦٠٦)،وأبو داود برقم:(٣١٥٧)، وابن ماجه برقم:(٢١٩)، ، والدارمي برقم:(٣٤٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم:(٣٦٤١).

العلم ميراث النبي كذا أتى　　　والعلمـــاء هـــم ورّاثـــه

وقال الآخر:

العلم قال الله قال رسوله　　　قال الصحابة ليس بالتمويه

ومن سار على نهجه ﷺ ورجع في كل صغيرة وكبيرة إلى ورثة الأنبياء العلماء العاملين، كان وليّا من أولياء الله، وقد بيّن الشرع الطريق الموصلة إلى هذه الولاية فقال تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينّه ولئن استعاذني لأعيذنّه وما ترددت عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[1] ، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فمن خرج عن سبيل الله الذي رسمه لعباده وأوجب عليهم السير عليه دخل في سبيل من سبل الشيطان، قال جابر: « كنّا عند النبي ﷺ فخطّ خطا وخطّ خطين عن يمينه وخطّ خطين عن يساره (وفي رواية: قال هذه سبيل الشيطان) ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٢١).

﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾»[(١)]، وجاء في حديث النوّاس بن سمعان قال : قال رسول الله ﷺ:«ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيها أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مُرخاة وعلى باب الصراط داع يقول:يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتعوّجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال:ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام والسوران حدود الله تعالى والأبواب المفتّحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي من فوقه واعظ الله في قلب كل مسلم»[(٢)].

والشبه التي يلقيها الشيطان للناس واهية، قال تعالى:﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾ [النساء:٧٦]، لكن يزيّنها في قلوبهم قال تعالى:﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ [الأنعام:٤٣]، ومع هذا يتبرّأ من أتباعه يوم يكونون في أمسّ الحاجة إليه قال تعالى:﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ

---

(١) أخرجه أحمد برقم:(١٤٧٣٩) و ابن ماجه برقم:(١١)، والدارمي برقم:(٢٠٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم:(١١).

(٢) أخرجه أحمد برقم:(١٦٩٧٦-١٦٩٧٨) والترمذي برقم:(٢٧٨٦)،والحاكم،وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم:(٣٨٨٧).

إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٢]، ومن نجا من كيد الشيطان وأعوانه؛ قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام:١١٢]، تسلط عليه الهوى قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية:٢٣]، وقال أيضا: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات:٤٠-٤١]، وقال كذلك: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النساء:٢٧]، وقال: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص:٥٠]، وحذّر المولى عز وجل من اتّباعهم فقال: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة:٤٩].

فهذه المسائل الهامة التي تَطَرَّقْتُ إليها جمعها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـــ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـــ وسمّاها **الأصول الستّة** يسّر الله لي شرحها في الجولة الدعويّة في تلمسان لما رأيت فيها من الفوائد العزيزة، ولتعميم الفائدة جمع الشرح الطالب إسماعيل التلمساني.

ولما كان الله سبحانه وتعالى وترا يحب الوتر أضفت لها أصلا سابعا وهو كمال الدين، هذا الأصل العظيم الذي من عرفه واكتفى بما جاءه عن ربه واستغنى عن كل ما سواه سدّ على نفسه جميع أبواب الفساد وعاش في مأمن من كل شيء قال تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة:٣٨]، وقال: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه:١٢٣] وكل الأصول الستة مندرجة تحت هذا الأصل الأخير، والله أسأل أن ينفع الجميع .

وكتبه : أبو عبد الباري العيد

بن سعد شريفي

بسم الله الرحمن الرحيم

من أعجب العجاب، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول بينها الله تعالى بيانا واضحا للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل.

الأصل الأول

إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة.

ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين و التقصير في حقوقهم، و أظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين و أتباعهم.

الأصل الأول:

(إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضدّه الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة...)(١)

---

(١) يشير المؤلف ـــ رحمه الله ـــ في هذا الأصل إلى ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ في كتاب"العبودية"(١)وغيره من الكتب، حيث يقول: « وجماع الدين أصلان :أن لا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بالبدع كما قال تعالى:﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا** ﴾ [الكهف:١١٠] »اهـ.

والمؤلف هنا ذكر الأصل الأول وهو:**إخلاص العمل لله تعالى.**

وهو أن يريد الإنسان بعمله وجه الله تبارك وتعالى لا يريد غيره، ولا يصل العبد إلى هذا الأصل العظيم ولا لكماله إلا بمعرفة الله عز وجل بربوبيته وأسمائه وصفاته وهو الذي يسميه ابن قيم الجوزية وغيره من أهل العلم -رحمهم الله -:"توحيد المعرفة والإثبات"(٢)،فكلما حقق الإنسان توحيد المعرفة

---

(١) (ص١٧٢) وانظر "مجموع الفتاوى" (٥/٢٧٠)،(١/٨٠) و"شفاء العليل"لابن القيم (ص٤٩٩).

(٢) قال الإمام ابن أبي العز الحنفي ـــ رحمه الله ـــ: «ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد».(شرح الطحاوية: ص٨٨ تـ: التركي والأرناؤوط..

....

و الإثبات كلما خلص عمله لوجه الله ﷻ .قال العلامة الحافظ ابن رجب الحنبلي ـ رحمه الله ـ:«...و إنما يعبد سبحانه بعد العلم به ومعرفته فلذلك خلق السماوات والأرض وما فيهما للاستدلال بها على توحيده وعظمته كما قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢]».[١]

وقال أيضا :«...فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له من خير وشر ونفع وضر، وإن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل وإفراده بالطاعة وحفظ حدوده، فإن المعبود إنما يُقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار، ولهذا ذمّ الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن ما بيده شيئا، فمن يعلم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع غير الله أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء و تقديم طاعته على طاعة الخلق جميعا و أن يتّقي

---

(١) "استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس" له، مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي [٣/٢٩٢]، تـ: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني (١٤٢٤هـ -٢٠٠٣).

....

سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعا، وإفراده بالاستعانة به والسؤال له وإخلاص العبادة له في حال الشدة وحال الرخاء...»[١] .

وقال العلامة ابن القيم ـــ رحمه الله ـــ:«فيثبت قدم العبد في الربوبية ثم يرقى منه صاعدا إلى توحيد الإلهية فإنه إذا تيقن أن الضر والنفع والعطاء والمنع والهدى والضلال والسعادة والشقاء كل ذلك بيد الله لا بيد غيره وأنه الذي يقلب القلوب ويصرفها كيف يشاء، وأنه لا موفق إلا من وفقه وأعانه ولا مخذول إلا من خذله وأهانه وتخلى عنه، وإن أصح القلوب وأسلمها وأقومها وأصفاها وأشدها وألينها من اتخذه وحده إلها ومعبودا فكان أحب إليه من كل ما سواه وأخوف عنده من كل ما سواه وأحب له من كل ما سواه فتتقدم محبته في قلبه جميع المحاب فتنساق المحاب تبعا لها كما ينساق الجيش للسلطان ويتقدم خوفه في قلبه جميع المخلوقات فتنساق المخلوقات كلها لخوفه ويتقدم...»[٢].

وقال العلامة المفسر الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـــ رحمه الله ـــ: «...فمن عرف الله ، وعرف الخلق اضطرته هذه المعرفة إلى عبادة الله وحده

---

(١) "جامع العلوم والحكم"ت:شعيب الأرناؤوط (١/٤٥٩ – ٤٦٢).

(٢) "مدارج السالكين" لابن القيم (١/٤١١).

وإخلاص الدين له والثناء عليه وحمده وشكره بلسانه وقلبه وأركانه وانصراف تعلّقه بالمخلوقين خوفا ورجاء وطمعا»[١] .

ولا يفسد هذا الإخلاص إلا بأحد أمرين:

✓ **أولا: إرادة ما عند الناس :**

فهذا أمر خطير لو سلكه الإنسان لأفضى به إلى فساد نيته وإخلاصه لله عز وجل، وحقيقته أن يريد بعمله شيئا من الدنيا مما عند الناس وهذا دليل على ضعف إيمانه وعدم تحقيقه لمعرفته بربه سبحانه وتعالى ، لأن كل مايُراد ويُبتغى من عند الناس فعند الله منه خزائن قال تعالى:﴿ **وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ** ﴾ [الحجر:٢١]، وهذه الخزائن لا تنفد كما قال تعالى:﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ** ﴾ [النحل:٩٦] فالآية الأولى تضمنت كنزا عظيما وهو شمول ملكه تعالى لجميع ما يحتاجه الإنسان ، والآية الثانية تضمنت كنزا آخر وهو دوام امتلاك الله لما يحتاجه الإنسان فتطمئن نفسه وترتبط بربها ارتباطا وثيقا، فلا يلتفت إلا إليه ولا يتوجّه إلا إليه.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا الداء الخطير وحذّر منه أيّما تحذير فقال: «بادروا بالأعمال،فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا،

---

[١] "القول السديد في مقاصد التوحيد" للشيخ عبد الرحمن السعدي (ص٥٤ – ٥٦).

....

ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا يبيع دينه بعرض من الدنيا»[١] أي:أن هذه الأعمال التي يجب أن تكون لله عز وجل يصرفها إلى غيره من العباد لينال بذلك حظّا من الدنيا زائلا وعَرَضا من نعيمها عاجلا، وهذا حين يضعف إيمانه ويخور يقينه، فيشعر أنه محتاج إلى غير الله سبحانه وتعالى نسأل الله السلامة والعافية. وقد عقد مصنّفنا ـ رحمه الله ـ بابا في كتاب التوحيد سمّاه "باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا" رقم٣٧.

✓ **ثانيا:حب الثناء والمدح:**

فإذا أراد الإنسان أن يقدم عملا لوجه الله عز وجل وتأتي النفس الأمّارة بالسوء لترجو الثواب والمدح عند الناس، ثمّت يصرف العمل لغير الله تعالى، فلا بدّ حينها أن يعلم هذا المبتلى بهذا المرض ويتيقّن أن المدح الذي يزين والذّمّ الذي يشين إنما هو ما كان من الله عز وجل ففي"سنن الترمذي" و"النسائي" من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم:«إن مدحي زينٌ وذمّي شينٌ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:ذاك الله عز وجلّ ».[٢]

ومتى أردت أن تُمدَح من الناس وتاقت نفسك لذلك في أي عمل تقوم به، فاعلم أنّك هالك قد فسد عملك وبطل تعبك ونصبك، بعد أن قصدت

---

(١) أخرجه أحمد برقم:(٧٦٨٧-١٠٣٥٤) و مسلم برقم:(١٦٩)، والترمذي برقم:(٢١٢١).

(٢) رواه أحمد برقم:(١٥٤٢٢) و الترمذي برقم:(٣١٩٠).

....

به غير المالك عَزَّ وَجَلَّ « فازهد في مدح من لا يزينُك مدحُهُ وفي ذمّ من لا يشينُك ذمُّه وارغب في مدح من كلّ الزّين في مدحه وكلّ الشّين في ذمّه» [١] ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢]، وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة:١٣] ، وغيرها من الآيات، فهذا المدح الذي ورد من الله عَزَّ وَجَلَّ لهؤلاء الناس هو الذي لا بدّ للإنسان أن يسعى لتحقيقه وتحصيله فثمّت يحقق الإخلاص.

---

(١) "الفوائد" لابن القيم(٣٣٩- ٣٤٠).

قوله (ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار، أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقّص الصالحين والتقصير في حقوقهم...)(١)

---

(١) بيَّن الشيخ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في هذه الجزئية أن الإخلاص فسد على الناس لأنهم يرَون أن من أخلص لله وأراد بعمله وجهه تبارك وتعالى فهذا ذمٌّ للصالحين، فكأن الإنسان عندهم لا يكون مخلصا إلا إذا أراد بعمله ما عند هؤلاء الصالحين، والأصل أن أولئك الصالحين محتاجون إلى الله كما أننا محتاجون إليه، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ ﴾ [الإسراء:٥٧]، وقال أيضا:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٤]، وأنهم لا يملكون نفعا ولا ضرا لقوله تعالى:﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبأ:٢٢]، وقال تعالى:﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الفرقان:٠٣]، بل إنهم في حاجة ماسّة منّا للدعاء لهم قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا

....

ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠]، فقوله عز وجل﴿ ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ أن نطلب لهم المغفرة، لكن أن نعمل لهم أعمالا نتقرب بها إليهم من باب مدحهم وإظهار الحب لهم فهذا ما لا يقبله الشرع وهو يتنافى مع الإخلاص المطلوب لله تبارك وتعالى.

الأصل الثاني

أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بيانا شافيا تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا و اختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين و نهاهم عن التفرق فيه و يزيده وضوحا ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين و فروعه هو العلم و الفقه في الدين، وصار الاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون.

الأصل الثاني:

(أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه...)(١)

---

(١) إن هذه الأخوة الدينية والرابطة الإسلامية والوحدة الشرعية ليست مزيّة من المسلم لأخيه ولا تُعد نافلة منه إليه، بل هي فرض محتم أوجبه علينا ربّنا تبارك وتعالى وذلك لقوله عَزَّ وَجَلَّ:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠] وفي الحديث«وكونوا عباد الله إخوانا»[١].وكل من خرج عن هذا الاجتماع بأي وجه من الوجوه فإنما هو من أهل الابتداع لأن أهل السنّة والجماعة سُمُّوا كذلك لاجتماع كلمتهم وعدم تفرقهم وأما أهل البدعة فهم أهل الفرقة والاختلاف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:«والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة فيُقال أهل السنّة والجماعة كما يُقال أهل البدعة والفرقة».[٢]

وقال ابن قتيبة ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ:«ولو أردنا ـ رحمك الله ـ أن ننتقل عن أصحاب الحديث و نرغب عنهم إلى أصحاب الكلام و نرغب فيهم لخرجنا

---

(١) أخرجه البخاري برقم:(٥٦٠٤-٥٦٠٥-٥٦٠٦-٥٦١٢-٦٢٢٩)، ومسلم برقم:(٤٦٤١-٤٦٤٢-٤٦٤٦-٤٦٤٧-٤٦٤٨-٤٦٤٩-٤٦٥٠)، وغيرهما.

(٢) "الاستقامة" لابن تيمية (٤٢/١).

....

من اجتماع إلى تشتّت وعن نظام إلى تفرّق وعن أُنس إلى وحشة وعن اتفاق إلى اختلاف».[١]

فأهل البدعة متفرّقون مختلفون فيما بينهم لا يجتمعون على كلمة سواء، فهم دائما في حيرة واضطراب وشكّ وارتياب نتيجة تفرقهم وتنازعهم، حتى أنّك تجد الواحد منهم«...يُكفّر أباه والرجل أخاه والجار جاره، تراهم أبدا في تنازع وتباغض واختلاف تنقضي أعمارهم و لم تتفق كلمتهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٤﴾ [الحشر:١٤]، وسبب ذلك أنهم أخذوا الدين من المعقولات والآراء فأورثهم الافتراق والاختلاف لأن دلائل العقل قلّما تتفق، بل عقل كل واحد يرى صاحبه غير ما يراه الآخر[٢]...».[٣]

وأما أهل السنة فإنهم بحمد الله متفقون غير مفترقين، ومجتمعون ليسوا مختلفين غايتهم واحدة وهي الوصول إلى الحق للعمل به وإلههم واحد ومتبوعهم واحد وهو محمد ﷺ.

---

(١) "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة (ص ٤٤- ٤٥).

(٢) كما في المثل الجزائري المعروف "هذا رأيك ورأيي أين أضعه".

(٣) "صون المنطق" للسيوطي (١٦٧).

قال أبو المظفّر السمعاني:«ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد وفعلهم واحد لا ترى بينهم اختلافا ولا تفرقا في شيء وإن قلّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجَدتَه كأنه جاء من قلب واحد وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا ؟ » .[١]

وقال ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من يا رسول الله ؟ فقال: هي الجماعة»[٢] ، و في

(١) "الحجة في بيان المحجة"لأبي القاسم الأصبهاني (٢/٢٢٤- ٢٢٦).

(٢) رواه أبو داود برقم:(٣٩٨١)، وابن ماجة برقم:(٣٩٨٢-٣٩٨٣)، وصححه الألباني في "صحيح سنن أبي داود" برقم:(٤٥٩٧)، وفي "صحيح سنن ابن ماجة" برقم:(٣٩٩٣)، وانظر "الصحيحة" رقم: (٢٠٤).

....

رواية : « ما أنا عليه وأصحابي»(١) ، أي: ما أنا عليه اليوم وأصحابي من التوحيد والشرائع والقيام بها ، إذن فهذا الاجتماع والائتلاف هو فرض من الله عَزَّوَجَلَّ علينا.

فإذا حققنا التوحيد وأعطيناه حقّه واستوفينا شرائطه في حياتنا فبإذن الله تجتمع القلوب وتأتلف وتتّحد ولا تختلف، ولكن شرط ذلك أن نكون عبيدا لواحدٍ فقط هو الله عَزَّوَجَلَّ ومتّبعين لواحد قد عصمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الخطأ في تبليغ الوحي وهو قُدوَتُنا وأُسوتُنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالمؤلف ــ رَحِمَهُ اللَّهُ ــ ينبّه في هذا الأصل إلى أمر عظيم وأصل قويم وهو الاجتماع والوحدة في الدين، إلا أنه ــ كما ذكرنا سالفاً أن الإخلاص قائم على معرفة الله تبارك وتعالى ــ فكذلك هذه الوحدة المنشودة لن تقوم لها قائمة إلا بالتوحيد«فلا توحيد إلا بالتوحيد»(٢)، فمتى حققنا التوحيد حصل

---

(١) رواه الترمذي برقم:(٢٥٦٥)، وحسنه الألباني في "صحيح سنن الترمذي" برقم:(٢٦٤١)، وانظر "الصحيحة" رقم:(٣٠٢).

(٢) قال العلامة الأريب والشيخ الأديب محمد البشير الإبراهيمي ــ رَحِمَهُ اللَّهُ ــ :«...أي شباب الإسلام إن الأوطان تجمع الأبدان وإن اللغات تجمع الألسنة وإنما الذي يجمع الأرواح ويؤلّفها ويصل بين نكرات القلوب فيعرّفها فهو الدين فلا تلتمسوا الوِحدَة في الآفاق الضّيّقة ولكن التمسوها في الدين والتمسُوها من القرآن تجدوا الأفق أوسع والدار أجمع والعديد أكثر والقِوى أوفر...»[الآثار:١/ ١٦٣].

....

الاتحاد والاجتماع ومتى تخلّينا عنه وقع التفرّق والتزاع، وبقوة التوحيد نكتسب التوحيد (الاجتماع)، ولهذا قال الله عز وجل لنبيّه ﷺ مانًّا عليه: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:٦٣]، لماذا ألّف بينهم؟ الجواب: لأن قلوبهم عرفت ربها حق المعرفة وتوجّهت إليه خاضعة ذليلة مفتقرة إليه وحققت العبودية اللازمة له فأضفت هذه المعرفة وتلك العبودية على القلب نورا وهو نور الإسلام ومن ثَمّ أوجبت عليهم القيام بأمره والانتهاء عن نهيه مما نتج عنه الوحدة والاجتماع.

ولذا فكل أمة ابتعدت عن السبيل التي سلكها الصحابة في تحقيق الوحدة والاجتماع وخاصّة منها توحيد المعرفة والإثبات فمحال أن تتحد وتجتمع قال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ ﴾ [البقرة:١٣٧]، ومعنى هذا: أيّها الناس إن آمنتم بمثل ما آمن به أصحاب محمد ﷺ فقد اهتديتم وإن توليتم عمّا كانوا عليه من تحقيق التوحيد فأنتم في اختلاف وشقاق وتنازع وافتراق.

فهذا التوحيد الذي نسعى إلى تحقيقه وتحصيله هو ثمرة للتوحيد الذي أساسه معرفة الله ﷻ بربوبيته وأسمائه وصفاته، فيصبح كل واحد منّا يراقب

....

الله في نفسه وفي إخوانه، ومما يدل على أن الاجتماع لا يحصل ولا يتحقق إلا بالتوحيد قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [هود:٤٥]، فنفى الله ﷻ كونه من أهله بقوله تعالى:﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ ﴾ [هود:٤٦]، وقال لمن عبدوا الله ووحّدوه: ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴾ [هود:٤٠]، فأثبت للذين ءامنوا به وعبدوه ووحّدوه صفة الأهل مع أنهم ليسوا من أهله من النّسَب، لأن رابطة الدين وأخوة الإسلام والتوحيد أقوى من كل رابطة حتى إنها فاقت رابطة البُنُوّة كما قال الله ﷻ لنوح عليه السلام :﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ ﴾ [هود:٤٦]، بل وفاقَت أيضا رابطة الأبوة كما قال تعالى عن إبراهيم:﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة:١١٤]، ولهذا قال ﷺ :«لا حلف في الإســلام»[1] لأنه يُفضي إلى تشتيت الأمة وتفريقها شِيَعا وأحزابا، "وحرّم الإسلام أيضا كل ما يعود على الوحدة بالفساد من تحزّب و تعصّب للأشخاص أو الآراء

---

(1) أخرجه البخاري برقم:(٢١٣٠-٥٦١٩)، ومسلم برقم:(٤٥٩٣-٤٥٩٥) وغيرهما.

....

والأفكار والموالاة بهذه الأسماء والمعاداة عليها، فإن هذا ممّا يشتّت صف الوحدة الإسلامية والترابط الشرعي بل إن الشريعة الإسلامية المطهّرة قد سدّت كل الطرق والمنافذ التي يدخل منها الشيطان وأعوانه من الإنس والجن لأجل تفكيك رابطة الأخوّة الشرعية، في العديد من مجالاتها فشرّعت الصلاة جماعة في مسجد واحد حتى كرّه بعض أهل العلم تكرار الجماعة في المسجد الواحد وشرع الصيام جميعا في رمضان لما يحصل بين أفراد الأمة من الترابط والتعاطف، وكذلك شُرِعت الزكاة صدقة تؤخذ من الأغنياء لتُرَدّ على الفقراء لتحقيق الأُلفة والاجتماع بين أفراد الأمة الواحدة، وكذلك بالنسبة لتشريع الحج فإن فيه تحقيقا لهذا المقصد العظيم، بل تعدى الأمر إلى ما دون هذه الأركان في المرتبة من الأحكام الشرعيّة فنهى عن التشاحن والتدابر والتباغض والتحاسد والهجران بين المسلم والمسلم لأكثر من ثلاث ونهى عن بيع النجش وعن خِطبة الأخ على خِطبة أخيه وعن سَوم الأخ على سَوم أخيه وعن الغشّ والكذب والنميمة والغيبة والغمز واللمز وغير ذلك من الأحكام الشرعيّة كل ذلك من أجل المحافظة على هذا المقصد العظيم وهو الرابطة الدينيّة والأخوّة الإيمانية التي تجمع بين أفراد الأمة الواحدة" [1].

(١) أنظر "وجوب لزوم الجماعة وترك التفرّق" جمال بن أحمد بن بشير بادي (ص٧).

وروى مسلم في "صحيحه" من حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنّا مع النبي ﷺ في غزاة فكَسَعَ رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية ؟» قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال: «دعوها فإنها مُنتنة»[1] ، فهذه التسمية التي نادى بها كل من المهاجرين والأنصار هي في الأصل تسمية ممدوحة لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة:١٠٠]، لكن لما استُعملت في غير محلّها واستُغلّت فيما يعود على المسلمين بالضّرر من الفرقة والاختلاف حذّر منها النبي ﷺ بقوله: «دعوها فإنها منتنة» بل سمّاها «دعوى الجاهليّة» .

وغير بعيد عن هذا ما كان واقعا بين الأوس والخزرج من الحروب السِّجال والمعارك والقتال، فلمّا جاء الإسلام جمعهم على كلمة واحدة وهي كلمة التوحيد، الكلمة الطيبة، وجعل منهم أمة واحدة.

ولقد كان أخبث خلق الله يعيشون مع الصحابة وبين ظهرانَيهم وهم المنافقون واليهود ومع ذلك - و رغم مكرهم وكيدهم - لم يستطيعوا أن

---

[1] برقم:(٤٦٨٢)، والبخاري برقم:(٤٥٢٥).

....

يشتتوا الصّف السلفي لأن قلوبهم كانت مرتبطة بالله عَزَّ وَجَلَّ ومتعلقة
فأورثهم ذلك اجتماعا ووحدة لم يستطع أي يهودي أو منافق أن يمزّقه
فلابدّ إذن أن نصرف جهودنا إلى السعي في تحقيق توحيد الله تبارك وتعا
بمعرفته جل وعلا حقّ المعرفة، فإذا حصل هذا تحققت الوحدة لزاما ولن يؤ
عليها أيّ مؤثر سواء كان جماعة أو مذهبا أو تجمعا أو فكرا أو رأياً لذل
قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُو
لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَ
بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ـ
ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف:٤

إذا علمنا أن التوحيد سبيل الوحدة والوفاق وطريق الاجتماع والا
فإنه لا بأس أن نبيّن الأسباب التي تهتك ستر هذا الاجتماع وتخرق ـ
فأقول:

كما أن توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ من أعظم أسباب الوحدة والاجتما
الشرك به جلّ وعلا من أكبر بواعث الفرقة والنزاع، كما قال تعالى:
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعً
حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم:٣١-٣٢]

....

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَـٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ ﴾ [المائدة:١٤]، فهاتان الآيتان وغيرهما صريحة في أن الشرك سبب من أسباب الفرقة.

وكذلك فإن البدعة أخطر أسباب الفرقة والنزاع، والبدعة أصل مادّها؛ بدع أي اخترع على غير مثال سابق ومنها قوله تعالى:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[البقرة:١١٧] ، أي مخترعهما على غير مثال متقدّم، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[الأحقاف:٠٩] ؛ أي ما كنت أوّل رسول بل سبقني كثير من الرسل.

فالبدعة طريقة في الدين يخترعها صاحبها يضاهي بها الطريقة الشرعيّة ويقصد بسلوكها الزيادة في التعبّد لله تعالى، وهي بعد الشرك في الخطر وسبقت الشرك في تفريق الصف الإسلامي ولهذا قال الرسول ﷺ في حديث العرباض بن سارية« فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، وإيّاكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة

ضلالة[١]»، وبدأ ذلك بالخوارج والقدرية والجبرية والمعتزلة.

وتكون البدعة بالفعل والترك والمعصية، وهي إضافيّة وحقيقيّة، وهي على أضرب:

- بضرب الحدود، كناذر الصيام قائما لا يقعد ضاحيا لا يستظلّ، وكقيام الليل كله وصيام الدهر كله وترك الزواج كلّية وترك أكل معيّن.

- التزام الكيفيّات والهيئات المعينة كالذكر جماعة بصوت واحد، أو قراءة القرءان جماعة بصوت واحد، واتخاذ يوم مولد النبيّ ﷺ عيدا.

- أو التزام العبادات المعَيَّنة في أوقات معيَّنة ليس لها تعيين في الشرع، كالتزام صيام النصف من شعبان وقيام ليله، وكالفدية التي تُفعل سنويّا على الأموات.

وهذا كله من عمل الشيطان الذي يستدرج الناس ليُبعدهم عن عبادة الله ويُزيّن لهم سوء عملهم فيرونه حسنا، وهو راجع إلى عدم اعتقاد المسلمين كمال الدين وأن النبي صلى جاء بكل ما الناس في حاجة إليه لإصلاح حياتهم وآخرتهم،وذلك لقوله ﷺ :«إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه

---

[١] رواه أحمد في "المسند"برقم: (١٦٥١٩)، والترمذي برقم: (٢٦٠٠)، وأبو داود برقم: (٣٩٩١)، وابن ماجه برقم: (٤٣١)، والدارمي برقم: (٩٥)، والحاكم في "المستدرك" (١/٩٥- ٩٦)، وصححه المحدث العلامة الألباني في"صحيح الجامع الصغير" (١/٣٤٦) وفي "الإرواء" برقم:(٢٤٥٥).

....

أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم...»[١]، وقال ﷺ لمن أراد الزيادة في التقرّب إلى الله من الصحابة، وهم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس منّي»[٢]،وهو القائل:«وخير الهدي هدي محمد»[٣].

ويقول الإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ في بيان أن البدع تقتضي التفرّق: « وأما أن البدَع مظنَّة إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام، فلأنها تقتضي التفرُّقَ شيَعا، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم حسبما تقدّم في قوله تعالى:﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [آل عمران:١٠٥]، وقوله:﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وقوله:﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢ ﴾ [الروم:٣١-٣٢]،وقوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا

---

(١) رواه أحمد برقم:(٦٢١٢و٦٥٠٣و٦٥٢٣)، ومسلم برقم:(٣٤٣١)، وأبوداود برقم: (٣٧٠٧)، والنسائي برقم: (٤١٢٠).

(٢) أخرجه أحمد برقم: (١٣٠٤٥) و البخاري برقم: (٤٦٧٥)، ومسلم برقم: (٢٤٨٧)، والنسائي برقم:(٣١٦٥).

(٣) أخرجه أحمد برقم:(١٤٤٥٥) و مسلم برقم:(١٤٣٥)، وابن ماجة برقم:(٤٤).

....

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].»[1]

ويقول ــ رَحِمَهُ اللَّهُ ــ في موطن آخر:«وأصل هذا الفساد من قِبَلِ الخوارج، فهم أوّل من أفشَى لَعْنَ السَّلف الصالح وتكفير الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ ومثل هذا كله يورث العداوة والبغضاء.

وأيضا فإن فرقة النجاة ــ وهم أهل السنّة ــ مأمورون بعداوة أهل البدع، والتشريد بهم، والتنكيل بمن انحاش إلى جهتهم بالقتل فما دونه، وقد حذّر العلماء من مصاحبتهم ومجالستهم حسبَما تقدَّم، وذلك مظنة إلقاء العداوة والبغضاء، لكن الدَّرك فيها على من تسبَّب في الخروج عن الجماعة بما أحدثه من اتِّباع غير سبيل المؤمنين، لا على التعادي مطلقا، كيف ونحن مأمورون بمعاداتهم وهم مأمورون بموالاتنا والرجوع إلى الجماعة؟!»اهـ.[2]

وكذلك ممّا يعود على هذا الاجتماع بالفساد والهلاك **الحسد والبغضاء**، فهما من الأخلاق الذميمة والمصائب الوخيمة التي تسري في الأمة شيئا فشيئا حتى تفتك به ولهذا قال ﷺ:«دبّ إليكم داء الأمم قبلكم

---

(١) "الاعتصام" (١/٢٠٥)، تــ : الشيخ مشهور حسن سلمان.

(٢) "الاعتصام" (١/٢٠٨).

....

الحسد والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدِّين»[١].

وإن ما نراه من واقع المسلمين اليوم إنما هو من نتاج الحسد والبغضاء، فتجد أحدهم يحسد أخاه المسلم على ما أعطاه الله عَزَّ وَجَلَّ ومنَّ به عليه من نعم وخير وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على ضعف إيمانه ونقص توحيده ورقّة ديانته وقلّة يقينه، فليعلم هذا الحاسد أن المعطي هو الله وحده لا شريك له وأنّه بهذا مستدرك على الله عَزَّ وَجَلَّ وكأنه يقول ــ بلسان حاله ــ لماذا أعطيته ولم تعطني وأنا أحق بالعطاء منه، فهو يعاند قدر الله وحكمته فهذا خطر كبير وشر مستطير، نسأل الله السلامة والعافية.

وانظروا ــ رحمني الله وإيّاكم ــ إلى الجيل الأوّل كيف كانوا متوحّدين فيما بينهم حتى كأنهم على قلب رجل واحد وكيف أنهم كانوا يقطعون كل الأسباب والوسائل التي تؤدّي إلى تفريق صفهم وتشتيت شملهم فعن أبي هريرة - رضي الله عنه- أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: «ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم يصلّون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجّون ويعتمرون ويجاهدون ويتصدّقون فقال: ألا أعلّمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا

---

[١] أخرجه أحمد برقم:(١٣٣٨،١٣٥٥) و الترمذي برقم:(٢٤٣٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم:(٢٥١٠).

....

يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال:تسبّحون وتحمّدون وتكبّرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين »[١]، زاد مسلم في روايته «فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله؟ فقال رسول الله ﷺ ذاك فضل الله يؤتيه من يشاء».[٢] فأولئك نظروا إلى حياتهم بعين الآخرة لا من حيث المأكل والمشرب وغير ذلك من أمور الدنيا وزخرفها وبريقها، فلمّا رأوا ما سبقهم به أغنياء المهاجرين من مالٍ، اشتكوا إلى رسول الله ﷺ ذلك، فلما رأى منهم ﷺ ذلك الحرص على الآخرة دلّهم على ما يستعينون به من أجل اللحوق بمرتبة الأغنياء في الأجر فقال«تسبّحون...» ففعل الأغنياء مثل فعلهم فجاء فقراء الصحابة مرة ثانية إلى النبي ﷺ يشتكون ويستفسرون عن كيفيّة اللحوق بالأغنياء، فبين لهم النبي ﷺ أن هناك حدًّا يجب الوقوف عنده وعدم تجاوزه فقال «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» فتوقفوا عند ذلك الحد وسلّموا للقضاء والقدر و لم يُنازعوا الأمر أهله ـــ رضي الله عنهم ـــ فإذن الحسد والبغضاء من أكبر الآفات وأعظم السيئات التي تشتّت وحدة الأمة ورأس ذلك كلّه اتباع الهوى فإن الحسد والبغضاء يقومان عليه.

---

[١] أخرجه البخاري برقم:(٧٩٨،٥٨٥٤).

[٢] أخرجه مسلم برقم:(٩٣٦).

الأصل الثالث

إن من تمام الإجتماع السمع و الطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدا حبشيا، فبين الله هذا بيانا شافيا كافيا بوجوه من أنواع البيان شرعا وقدرا، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به.

الأصل الثالث:

(إن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا...)(١)

---

(١) هذا الذي ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ يعتبر طريقا مساعدا على الاجتماع وهو السمع والطاعة لمن ولاّه الله أمرنا والأدلة على ذلك من القرآن والسنة كثيرة وكثيرة جدّا، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء:٥٩]، وأولو الأمر «هم الولاة على النّاس من الأمراء والحكام والمفتين فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم طاعة لله رغبة فيما عنده»(١)، وقال النبي ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(٢).

وهذا الصحابي الجليل سلمة بن يزيد الجعفي يسأل النبي ﷺ فيقول «يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم سأله في الثانية أو الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس فقال له رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا فإنّما عليهم مـا حُمّلوا وعليكم ما حُمّلتم»(٣).

---

(١) تفسير السعدي (ص:١٤٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم:(٦٦١١)، و مسلم برقم:(٣٤٢٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم:(١٨٤٦).

....

وفي "الصحيحين"من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «قال لنا رسول الله ﷺ :إنكم سترَون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها قالوا:فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال:أدّوا إليهم حقهم وسلوا الله حقّكم».(١)

وأخرج مسلم في "صحيحه"من حديث حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال:«يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنّون بسنتي وسيقوم فيها رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس قال قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع»(٢)، وهذا غيض من فيض من كثير من الأحاديث و الآثار المروية عن السلف الصالح في الأمر بوجوب طاعة ولاة الأمر، لكن كما هو معروف ومقرّر في قواعد أهل السنة والجماعة أن هذه الطاعة الواردة في النصوص السابقة ليست على إطلاقها بل هي مضبوطة بما ضبطها به رسول الله ﷺ في الأحاديث الواردة عنه وهي أن تكون الطاعة في المعروف،فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن

---

(١) أخرجه البخاري برقم:(٦٥٢٩-٣٣٣٥)، ومسلم برقم:(٣٤٣٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم:(٣٤٣٥).

....

يؤمر بمعصية فإن أمر فلا سمع ولا طاعة».[١] وقال «لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل».[٢]

وروى الشيخان عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:«لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف».[٣]

وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر بقوله:«من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني»[٤]، وقد بوّب الإمام النووي ـ رحمه الله ـ على هذا الحديث بقوله:«باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية»

فهذا هو الأصل الأصيل والضابط الجليل الذي علّمه النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة، فعن أبي عبد الرحمن عن علي - رضي الله عنه- قال:«بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريّة

---

(١) سبق تخريجه الصفحة السابقة.

(٢) أخرجه أحمد في "المسند" برقم:(١٠٤١)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" برقم:(٧٥٢٠).

(٣) أخرجه البخاري برقم:(٦٧١٦-٦٦١٢-٣٩٩٥)، ومسلم برقم:(٣٤٢٤-٣٤٢٥).

(٤) أخرجه البخاري برقم:(٦٦٠٤-٢٧٣٧)،ومسلم برقم:(٣٤١٨-٣٤١٧) ، قال الشيخ السعدي-رحمه الله- عند تفسيره قوله تعالى:﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء:٥٩] :«...ولكن بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولعلّ هذا هو السّرّ في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله ومن يطعه فقد أطاع الله وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون في معصية»

....

واستعمل عليها رجلا من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا فأغضبوه في شيء فقال: اجمعوا لي حطبا فجمعوا له ثم قال أوقدوا نارا فأوقَدوا ثم قال:ألم يأمركم رسول الله أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا: بلى، قال:فادخلوها فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا:إنما فَرَرْنا إلى رسول الله ﷺ من النّار، فكانوا كذلك وسَكَن غضبُه وطُفئت النار فلمّا رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف»[١] ، فطاعة أولي الأمر- إذن- مقيدة في حالة ما إذا قاموا على الشرع وأمروا بطاعة الله فحالتئذٍ نطيعهم في ذلك وأمّا إذا أمروا بمعصية الله فلا طاعة لهم، بل أوجب الشرع على المؤمنين أكثر من ذلك وهو أن يُنكروا بقلوبهم ما يفعله الأمير من معصية فقال ﷺ :«سيكون عليكم أئمّة فتعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع».[٢]

هذا وتجدُر الإشارة هنا في هذا المقام إلى أن أهل العلم يَذكرون أن المراد بأولي الأمر: الأمراء والعلماء ، وعليه فمهما كان الإنسان ومهما علت مكانته في العلم وارتفعت مرتبته في الإدراك والفهم فإنه لا يُطاع في معصية

---

(١) سبق تخريجه الصفحة السابقة هامش رقم:١.

(٢) أخرجه مسلم برقم:(٣٤٤٥-٣٤٤٦) ، والترمذي برقم:(٢١٩١) واللفظ له. وغيرهما.

....

الله ﷻ ولا يُتبع في مخالفة الشرع، ولهذا بيّن رسول الله ﷺ أن العلماء لا يطاعون في كل ما يأمرون به فقال عليه الصلاة والسلام: «استفت قلبك، البرّ ما اطمأنّت إليه النفس واطمأنّ إليه القلب والإثم ما حاك في النفس وتردّد في الصّدر وإن أفتاك الناس وأفتوك»[١]، فإذا رأيت أنّ هذا العالم قد ظلم واعتدى في فتواه بأن حَوّتْ مثلا أكل أموال الناس بالباطل وأخذ حقهم ظلما وجورا، وأطعته في ذلك فإنك في ذلك الحين قد عصيت الله ﷻ واتّبعت طريقة أهل الجاهليّة الذين اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، قال الشيخ محمد بن عبد الوهّاب ــ رحمه الله ــ: «...فينبغي للمومن أن يجعل همّه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف والعمل بذلك ويحترم أهل العلم ويُوَقّرهم ولو أخطأوا لكن لا يتّخذهم أربابا من دون الله، هذا طريق المُنعَم عليهم...»[٢].

ولذا عقد الشيخ محمد بن عبد الوهّاب ــ رحمه الله ــ بابا في "كتاب التوحيد" (رقم:٣٨) ووَسَمَه بقوله: [باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلّ الله أو تحليل ما حرّم الله فقد اتخذهم أربابا من دون الله].

---

(١) أخرجه أحمد برقم: (١٧٣٢٠) والدارمي برقم: (٢٤٢١)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (١٧٣٤).

(٢) "مجموعة الرّسائل النجدية" (١/١١-١٢) بواسطة كتاب "الإقناع" لمحمد بن هادي (ص١٣٣).

....

وقد ثبت عن عدي ابن حاتم ـ رضي الله عنه ـ « أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة:٣١]، فقلت إنّا لسنا نعبدهم قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه،و يحللون ما حرم الله فتحلّونه ؟، فقلت: بلى، قال: فتلك عبادهم»[١].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ـ رحمه الله ـ : «وفي الحديث دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله»[٢].

ولهذا قال ﷺ :«إنكم لتختصمون إليّ وإنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنّما أقضي لكم على نحوٍ ممّا أسمع منكم فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنّما أقطع له قطعة من النّار يأتي بها يوم القيامة»[٣] ، فقضاؤه ﷺ ما خوّل للمقضيّ له أخذ هذا الحق، أي : لا طاعة لك للنبي ﷺ في هذه المسألة التي قضى فيها لك بنحو ما سمع منك

---

(١) أخرجه الترمذي برقم:(٣٠٣٠)،والطبراني في المعجم الكبير برقم:(٢١٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم:(٣٠٩٥).

(٢) "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد "للشيخ عبد الرحمن بن حسن، ص:٣٤٢.

(٣) أخرجه البخاري برقم:(٢٤٨٣-٦٣٥٢-٦٦٣٤).

....

لما علمت أن الحق بخلاف حكمه لك [١] لأنك حينها تأخذ قطعة من النار كما بيّن ذلك عليه الصلاة والسلام، فكيف بغيره ممن هو دونه في المنزلة والشرف فيما يقضي به أو يُفتي! قال الشيخ السعدي في "تفسيره": «...فإن حكم الحاكم لا يبيح محرّما ولا يحلل حراما إنما يحكم على نحوٍ مما يسمع وإلا فحقائق الأمور باقية، فليس في حكم الحاكم للمُبطل راحة ولا شبهة ولا استراحة فمن أدلى إلى الحاكم بحجة باطلة وحكم له بذلك فإنه لا يحل له ويكون آكلا لمال غيره بالباطل والإثم وهو عالم بذلك فيكون أبلغ في عقوبته وأشدّ في نكاله...». [٢]

---

(١) و هذا خاص بباب القضاء لأنه يحكم فيه بنحو ما يسمع لا بوحي ، ولهذا قال ﷺ للحضرمي : "بينتك أو يمينه ، فقال الحضرمي : إنه رجل فاجر لا يبالي على ما أقسم ، فكرر ﷺ قوله له بينتك أو يمينه " .

(٢) أنظر "تفسيره" (ص٧٠).

الأصل الرابع

بيان العلم والعلماء ، والفقه والفقهاء ،وبيان من تشبه بهم وليس منهم، وقد بين الله هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله:﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة:٤٠]الآية، إلى قوله:﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [البقرة الآية:٤٧]، ويزيده وضوحا ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد . ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم و الفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لَبسُ الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوّه به إلا زنديق أو مجنون و صار من أنكره وعاداه و صنَّفَ في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم.

الأصل الرابع: [١]

(بيان العلم والعلماء والفقه والفقهاء وبيان من تشبّه بهم وليس منهم...)

---

(١) أراد المؤلف ـــ رَحِمَهُ اللهُ ـــ بهذا الأصل أن يوضّح الفرق بين العلم والعلماء والفقه والفقهاء وبيان من تشبّه بهم وليس منهم لكنه ـــ رَحِمَهُ اللهُ ـــ لم يبيّن هذا الفرق فكان لزاما علينا نحن أن نبيّنه فنقول:

قد أشار القرءان الكريم إلى بيان حقيقة العالم في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦]، فالعالم حقيقة هو الذي التصق العلم به وأصبح وصفا من أوصافه كما قال الإمام الشاطبي ـــ رَحِمَهُ اللهُ ـــ في تقسيمه لأهل العلم في طلبهم وتحصيلهم فبعد أن ذكر المرتبتين الأوليين قال: «المرتبة الثالثة: الذين صار لهم العلم وصفا من الأوصاف الثابتة بمثابة الأمور البديهية في المعقولات الأول أو تقاربها ولا ينظر إلى حصولها فإن ذلك لا يحتاج إليه، فهؤلاء لا يخلّيهم العلم و أهواءهم إذا تبيّن لهم الحق بل يرجعون إليه رجوعهم إلى دواعيهم

....

البشرية وأوصافهم الخلقية وهذه المرتبة هي المترجم لها...»[١] ثم ذكر الأدلة على ذلك.

وقوله تعالى:﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ أي: كأنه خرج منه لأن الذي كان يحميه من كل شرّ وسوء هو العلم، لكن بعد انسلاخه من آيات الله وعدم امتثاله وعمله بها استحوذ عليه الشيطان يؤكد هذا حديث زياد بن لبيد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ ذكر شيئا فقال:«ذاك عند أوان ذهاب العلم، قلت يا رسول الله كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرءان ونقرئه أبناءنا ويُقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة، قال ثكلتك أمك يا زيادُ إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أوَ ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيهما»[٢]، فضياع العلم إنما يكون بترك العمل به ولذا كان من دُعاء النبي ﷺ «وأعوذ بك من علم لا ينفع».[٣] قوله:﴿ فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ فأول عدوٍ انقضّ عليه هو الشيطان، فالعلم يحمي من مكائد الشيطان ويعصم من حبائله ولهذا قال عز وجل:﴿ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ

---

(١) "الموافقات" للشاطبي (١/٩١) تـ :الشيخ مشهور.

(٢) أخرجه أحمد برقم:(١٦٨٢٨- ١٧٢٤١) وابن ماجة برقم: (٤٠٣٨) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم:(٤٠٤٨) وانظر إرواء الغليل رقم:(٢٧٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم:(٤٨٩٩).

مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٠١] وقال أيضا: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر:٤٢].

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ فأول حماية يحصل عليها طالب العلم والعالم هي الحصانة من الشيطان وكيده ولهذا قال عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف:٢٤]، ﴿ وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ فالعلم يحمي من الإخلاد إلى الأرض والإخلاد إلى الدنيا هو ما ذكره صلى الله عليه وسلم بقوله:«ما أخشى عليكم الفقر ولكن أخشى عليكم التكاثر»، وفي لفظ آخر«...فتنافسوها كما تنافسوها...»[1]،«...ومن سعى مكاثرا فهو في سبيل الشيطان..» قال تعالى:﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر:٠١]. قوله:﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾؛ فالبعد عن العلم يسلط على صاحبه ثلاثة أعداء الأول والثاني قد تقدّما والثالث وهو أخطرها:الهوى، فالعلم يعصم من الهوى وهو من مهلكات الإنسان، ونهى الله عز وجل أفضل مخلوقاته عن أن يتبعوا الهوى إذ قال:﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ ﴾[ص:٢٦]،وقال صلى الله عليه وسلم في الخوارج:«تتجارى

(١) أخرجه البخاري برقم:(٢٩٢٤-٣٧١٢-٥٩٤٩)، ومسلم برقم:(٥٢٦١).

....

بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَب بصاحبه»[١]،وقال ﷻ حكاية عن قوم إبراهيم :﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٥].

فالعالم حقا وصدقا هو الذي يتبع هذا العلم الذي يقضي على العدوّين الداخلي(الهوى) والخارجي(الشيطان، الخلود إلى الدنيا..).

فلابد إذن أن يسري العلم في حياة الإنسان ويلتصق به أشد الالتصاق، فكما أن الله ﷻ جعل الجلد الموجود على جسم الإنسان لحمايته من كل ما يتعرّض له من الأمراض والأعراض فكذلك العلم يحمي صاحبه من كل شرّ وفساد.

هذا ومما يجب الالتفات إليه في بيان من هو العالم حقيقة ما قاله ﷺ :«العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يُورّثوا دينارا ولا درهما إنما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».[٢] فالعالم حقيقة هو من أخذ بحظ وافر من ميراث النبوّة وهو العلم الشرعي الصحيح المبني على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنّة، كما قال القائل:

---

(١) أخرجه أحمد برقم:(١٦٣٢٩)، وصححه الألباني في المشكاة برقم:(١٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم: (٢٦٠٦) ، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" برقم: (٣٠٢).

....

العلم ميراث النبي كذا أتى والعلماء هم ورّاثه.

وقال آخر:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين قول الرسول ورأي فقيه.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- «أنه مرّ بسوق المدينة فوقف عليها فقال يا أهل السوق ما أعجزكم؟ قالوا وما ذاك يا أبا هريرة قال ذاك ميراث رسول الله ﷺ يُقسم وانتم ههنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه قالوا وأين هو؟ قال في المسجد فخرجوا سراعا ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم ما لكم فقالوا يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئا يُقسم فقال لهم أبو هريرة وما رأيتم في المسجد أحدا ؟ قالوا بلى رأينا قوما يصلون وقوما يقرؤون القرآن وقوما يتذاكرون الحلال والحرام فقال لهم أبو هريرة:ويحكم فذاك ميراث محمد ﷺ »(١).

ولعظمة هذا العلم الموروث عن المصطفى ﷺ فإن الله عز وجل لا يعطيه إلا لمن يُحب وبه رفعهم في أعلى الدرجات ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة:١١]، وقال ﷺ:«من يرد الله به

(١) رواه الطبراني في"الأوسط" برقم:(١٤٢٩) ،وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" برقم:(٨٣).

خيرا يفقهه في الدين».[١]

ومما يحسن ذكره أيضا في بيان من هو العالم أن نقول: إن العالم الحقيقي الربّاني هو الذي يمزج بين العلم والإيمان لأن العلم الذي لا يصاحبه تقوى وإيمان فصاحبه كالشيطان ألا ترون أنه من أعلم خلق الله، لكن لما كان على غير هدىً من الله استعمل علمه في إبعاد الناس عن طاعة الله، فكذلك العالم الذي لا يجامع الإيمانُ علمَه لم يدفعه علمُه إلى العمل به، لذلك كان ﷺ يدعو فيقول : « وأعوذ بك من علم لا ينفع » [٢] لأنه سيصبح حجة عليه، فالعالم الربّاني هو الذي مزج بين العلم والإيمان فولّده ذلك تقوى الله عز وجل والخشية منه،قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر:٢٨].

فالعلم النافع مع الإيمان يولّد العمل الصالح وهو ثمرةٌ لهما لهذا قال تعال:﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام:١٢٢]، أما إذا كان العلم لا يثمر عملا فلا ينفع صاحبه بل يكون حجة عليه لا له.ومن تأمّل في سيرة الصحابة- رضي الله عنهم- كيف كانت طريقتهم في التعلم وجد ذلك عندهم واضحا

---

[١] أخرجه البخاري برقم:(٦٩-٢٨٨٤-٥٣١٣-٦٧٦٨)،ومسلم برقم:(١٧١٩-١٧٢١-٣٥٤٩).

[٢] سبق تخريجه ص ٤٤ .

....

بيِّناً فهذا يقول:«تعلّمنا العلم والإيمان والعمل معا»[١] وقال ﷺ :«أول من تسعّر به النار عالم...»[٢] فمن حيث كونُه عالماً بالأحكام الشرعية من حلال وحرام فهو كذلك لكن لّما قلّ ورعه وتقواه لم يدفعه ذلك العلم إلى العمل فكانت النتيجة أن العلم صار حجة عليه.

هذا، وقد بيّن النبي ﷺ معنى الفقه أيضا فقال:«إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة أخرى منها ما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من لم يرفع بذلك رأسا و لم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به»[٣]، فالعالم والفقيه على الحقيقة هو من تلقى العلم من مَعِينه الصافي؛ الكتاب والسنة واستخرج منهما الأحكام الشرعية واستنبط منهما الخيرات العلمية فوئد ودرر وفرائد وغرر، بحسن فهمه لهما ثم بذل جهده في إيصال هذا الخير للناس وهذا هو الصنف الأول.

و أما الصنف الثاني فقد جاء الناسُ فأخذوا عنه العلم فزرعوا و سقـوا

---

(١) "مقدمة التفسير" لابن تيمية.

(٢) أخرجه مسلم برقم:(٣٥٢٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم:(٧٧)، ومسلم برقم:(٤٢٣٢).

....

ورعوا كما قال ﷺ في الحديث الآخر: «رُبَّ حامل فقه لمن هو أفقه منه»[(١)].

فالعالم الربّاني والمعلم الإيمانيّ هو من أخذ القرآن والحديث وتفاعل معهما فاستخرج الأحكام الشرعية ووضّحها وجلاّها.

وفي مقابل هذا بيّن الرسول ﷺ صنفا من الناس تشبهوا بالعلماء ولبسوا لبوسَ الفقهاء وهم ليسوا كذلك فقال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلوا»[(٢)]، فهؤلاء جهلة يتكلمون بغير علم في الدين ويفتون بغير بيّنة ولا دليل، بل غالب كلامهم قال وقيل، فكان أمرهم وبالا عليهم، والواجب الابتعاد عن مثل هؤلاء واجتناب كل من تشبّه بهم من الأغبياء، بل الحرص كل الحرص على التفقه في الدين وتعلّم أحكامه حتى ينجو الإنسان من عذاب الله وأليمه، وكل هذا الذي وقع ويقع من سؤال الناس واستفتائهم لهؤلاء الجهلة إنما هو راجع إلى بعدهم عن الضوابط الشرعية وجهلهم بحقيقة العالم الذي يُستفتى ويُسأل، بل ذهب الأمر إلى أبعد من ذلك فالناس قد هجروا الكتاب والسنة

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٨٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٩٨)، ومسلم برقم: (٤٨٢٨) كتاب العلم.

....

والعمل بهما وانصرفوا إلى اتّباع ما وجدوا عليه آباءهم من عادات وأعراف وسنن الأخلاف، وهذا ما يبيّن بوضوح أن سبب البدع التي أُحدِثت في الأمة الإسلامية إنما هو عدم الانضباط بالعلم الذي أنزله الله إلينا وعدم العمل به، وإن من آثار هذه المعضلة السّقيمة و من نتائج هذه السبيل غير المستقيمة أن ابتعد الناس عن كل من له علم شرعي صحيح مبنيّ على الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة واتخذوه وراءهم ظهرياً،فالله المستعان.

وعليه فينبغي على الأمة الإسلامية شيبا وشبابا، نساء ورجالا صغارا وكبارا، إذا أرادت السعادة في العاجلة والفوز والنجاة في الآجلة أن تعود إلى مضمار العلم الشرعي المضبوط بالكتاب والسنّة المقيَّد بفهم السلف الصالح- رضي الله عنهم -[1].

---

(1) قال العلامة المفسّر باعث النهضة الإسلامية بالجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس-رحمه الله-:«اعلموا جعلكم الله من وعاة العلم ورزقكم حلاوة الإدراك والفهم وجمّلكم بعزّة الاتباع وجنّبكم ذلة الابتداع، أن الواجب على كل مسلم في كل مكان وزمان أن يعتقد عقداً يتشرّبه قلبه وتسكن له نفسه وينشرح له صدره ويلهج به لسانه وتنبني عليه أعماله أن دين الله تعالى من عقائد الإيمان وقواعد الإسلام وطرائق الإحسان إنما هو القرآن والسنة الثابتة الصحيحة وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين وأن كل ما خرج عن هذه الأصول و لم يَحْظَ لديها بالقبول قولا كان أو عملا أو عقدا أو احتمالا، فإنه باطل من أصله مردود على صاحبه كائنا من كان في كل زمان ومكان...» [الآثار: ٣/٢٢٢].

الأصل الخامس

بيان الله سبحانه لأولياء الله و تفريقه بينهم و بين المتشبهين بهم من أعداء الله المنافقين و الفجار، ويكفي في هذا آية من سورة آل عمران وهي قوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ سورة [آل عمران :٣١]الآية، و آية في سورة المائدة و هي قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ سورة [المائدة الآية:٥٤]الآية، وآية في سورة يونس وهي قوله:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة [يونس الآية:٦٢-٦٣].

ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أنّ الأولياء لابد فيهم من ترك إتباع الرسل ومن تبعهم فليس منهم ولا بد من ترك الجهاد فمن جاهد فليس منهم، ولابد من ترك الإيمان والتقوى فمن تعهد بالإيمان و التقوى فليس منهم، يا ربنا نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء .

الأصل الخامس:

(بيان الله سبحانه لأولياء الله وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله...)(١)

---

(١) أراد المؤلف ـــ رَحِمَهُ اللَّهُ ـــ في هذا الفصل بيان حقيقة الأولياء ومن ينتسب إليهم من غيرهم من الأدعياء لأن المفهوم الشرعي للولاية واسع، ومفهومها عند أهل التصوّف والخرافة ضيّق غير شاسع وبيان ذلك أن الإنسان بقدر قيامه على الشرع وامتثال أوامره واجتناب نواهيه بقدر ما تحصل له الولاية الربّانية والعناية الرحمانية زيادة ونقصا، قال جل وعلا: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ ﴾ [البقرة:٢٥٧] وقال عز من قائل في بيان الصفات التي يجب أن تتوفّر في العبد حتى يكون من أولياء الله﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣ ﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، وجاء ذلك مبيّنا أيضا في الحديث القدسي حيث يقول الله عَزَّوَجَلَّ فيه: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرّب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به و يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، في يسمع

....

وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنّه، وما تردّدت عن شيءٍ أنا فاعله تردّدي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءَته ولا بدّ له منه»[١]، فبيّن سبحانه وتعالى في هذا الحديث طريق الولاية وهو فعل المأمور واجتناب المحظور ومحبة ما يحبه الله و بُغض ما يبغضه، ولا سبيل للولاية إلا ذلك، ثم بيّن عز وجلّ أن منازل الناس في الولاية تتفاوت وتتباين بفعل النوافل فزيادة العبد في الأعمال الصالحة تزيده قربا من الله فيصير بذلك من أوليائه.

ويكفي في بيان من هم أولياء الله أن نقول: هم المتّبعون لرسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا لأن أقرب الناس إلى الله هو النبي ﷺ وهو الذي حقق الطاعة على وجهها الكامل، فمن أراد أن يحصل على أعلى مراتب الولاية فعليه أن يكون رسولَ الله أسوتُه وقدوتُه لأنه لا أحد يصل إلى المرتبة التي بلغها النبي ﷺ في الولاية، ودليل ذلك قوله ﷺ: « إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا»[٢]، فبيّن بقوله هذا أنه لا يبلغ أحدٌ مبلغه ومرتبته في القرب من الله ﷻ فلما كان ﷺ يمثّل المرتبة العلياء في الولاية صار لزاما على كل من أراد الوصول إلى درجة الولاية أن يسلك سبيله و يتّبع منهجه

---

(١) أخرجه أحمد برقم:(٢٤٩٩٧) و البخاري برقم:(٦٠٢١) .

(٢) أخرجه البخاري برقم:(١٩).

وطريقه، « ومن ادّعى محبّة الله و ولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله ، بل من خالفه كان من أعداء الله والشيطان قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران:٣١]، قال الحسن البصري -رَحِمَهُ اللَّهُ -:ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم، وقد بيّن الله فيها أن من اتّبع الرسول فإن الله يحبّه، ومن ادعى محبة الله و لم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء الله وإن كان كثير من الناس يظنّون في أنفسهم أو في غيرهم أنهم من أولياء الله ولا يكونون من أولياء الله، فاليهود والنصارى يدّعون أنهم أولياء الله وأحبّاؤه قال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ [المائدة:١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ — إلى قوله — ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة:١١١-١١٢]، وكان مشركوا العرب يدّعون أنهم أهل الله لسُكْناهم مكة ومجاورتهم البيت وكانوا يستكبرون به على غيرهم كما قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المؤمنون:٦٦-٦٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ — إلى

....

قوله ـــ ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الأنفال:٣٠-٣٤] ، فبيّن سبحانه أن المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته إنما أولياؤه المتقون»[1].

ثم اعلم ـــ رحمني الله وإياك ـــ أن الولاية قسمان:[2]

١- ولاية الرحمن: وهي لأوليائه الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[يونس:٦٢-٦٣] وقوله في الآية الأخرى عن المشركين: ﴿ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الأنفال:٣٠-٣٤] وقد مرّ الحديث عنها.

٢- ولاية الشيطان: وهي لمن استنكف عن عبادة الله ﷻ وانعدمت متابعته للنبي ﷺ ، باقتراف الشرك وارتكاب البدع وفعل الظلم والفواحش وغيرها مما يناقض ولاية الرحمن، فهذا قد صار وليّا للشيطان وصار الشيطان قرينه كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف:٣٦].

---

(١) أنظر "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" لشيخ الإسلام (ص:٢٠-٢١ وما بعدها).

(٢) المرجع نفسه (ص:٣٣-٣٤) بتصرف.

....

إذا تقرر أن أولياء الله هم المتقون المتبعون لنهج النبي ﷺ المقتفون لآثاره فإن هذه الولاية الربّانية الناس فيها متفاوتون و متفاضلون بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى ولهذا قسّم المولى عزّ وجلّ عباده إلى ثلاثة أقسام بحسب تفاوتهم وتفاضلهم في الولاية وهي: ـ ظالم لنفسه ـ مقتصد ـ سابق بالخيرات.

«**فالظالم لنفسه** أصحاب الذنوب والمصرّون عليها، ومن تاب من ذنبه أيّ ذنبٍ كان توبة صحيحة لم يخرج بذلك عن السابقين، **والمقتصد** المؤدّي للفرائض المجتنب للمحارم، **والسابق للخيرات** هو المؤدي للفرائض والنوافل...ومن تاب من ذنبه أي ذنبٍ كان توبة صحيحة لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين...»[(١)].

ولما كان الطريق إلى تحقيق هذه الولاية الربّانية هي مبتغى كل إنسان موحِّدٍ ومسعى كل عبد مؤمن بالله لم يكن ذلك بالأمر السهل ولا بالأمر الهيّن، من أجل ذلك جعل الله لسالك هذه الطريق عقبات كثيرة من شهوات النفس وأهوائها حتى يتبيّن بها الصادق من الكاذب، فقال ﷺ: «حُفّت الجنة بالمكاره وحُفّت النار بالشهوات»[(٢)]، لكن من جاهد نفسه

---

(١) "الفرقان" لابن تيمية (ص:٤٨-٤٩) بتصرّف يسير.

(٢) أخرجه مسلم برقم :(٥٠٤٩).

....

لله وهجر ما نهى الله عنه وصبر على ذلك فإن الله يوفّقه لا محالة كما قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩] ، فهذا يبيّن أن طريق الولاية تحتاج إلى متابعة ومصابرة ومجاهدة ومثابرة، وأصعب شيء على النفس هو المجاهدة والاتباع لأنهما يستلزمان مراقبة دائمة ومثل ذلك كمثل السائر في سفر يضع بين يديه خارطة تُرشده أو مُرشِداً يدلّه ويُرشده، فكلّما اتبع المسافر الخارطة أو المرشد وصل وقفل، لكن من سار بدون اتباع ضاع وضلّ لأن حَمْل النفس على طريق مُسبَقةٍ يحتاج إلى مراقبة وصبر كبيرين قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩﴾ [يونس:١٠٩]، فالاتباع يستلزم الصبر ويستدعيه، وهكذا إذا أراد إنسان أن يحقق القرب من الله عَزَّوَجَلَّ فلا بد عليه من الاتباع ومجانبة الابتداع ومن كان على خلاف هذا فقد جعل للولاية طريقا آخر غير طريق الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ترك الأوامر ومقارفة النواهي واتباع الشهوات وهو بهذا قد شرع في الدين ما لم يأذن به الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن اعتقد أن لأحدٍ من الأولياء طريقا إلى الله من غير متابعة محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كافر من أولياء الشيطان»[1].

(١) "الفرقان" (ص: ٣١).

الأصل السادس

رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن و السنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة وهي أن القرآن و السنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق . والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أوصافا لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر، فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضا حتما لاشك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق أو مجنون لأجل صعوبة فهمهما، فسبحان الله وبحمده كم بيّن الله سبحانه شرعا وقدرا، خلقا وأمرا في ردّ هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريّات العامّة ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون ﴿ لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ۝١١ ﴾ سورة [يس الآيات:٧-١١].

آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

الأصل السادس:

(ردّ الشبهة التي وضعها الشيطان لترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة...)(١)

---

(١) فيه إشارة إلى ردّ شبهة شيطانيّة بثّها بعض المبتدعة الذين يعملون على إبعاد الناس عن الكتاب والسنة ودفعهم إلى العيش مع آراء الرجال في الدين, والواجب على هؤلاء أن يعودوا إلى الكتاب والسنة ويتفقهوا فيهما, وهذا أصل عظيم جدا, فلا بد من تحكيم الكتاب والسنة في جميع مناحي الحياة ؛ العقدية والفقهية والأخلاقية, وأما أن نجعل من رأي فلان أو علان أصلا شرعيا يرجع الأمر إليه فهذا إفساد في الدين وإبعاد للناس عن رب العالمين.

وللإمام العلامة محمد البشير الإبراهيمي في آثاره كلام نفيس جدا في بيان خطورة هذا الأمر يقول فيه ــ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ــ:«والقرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه، فبئس ما تفعله بعض الطوائف الخاضعة للتمذهب من تحكيم الاصطلاحات المذهبية والآراء الفقهية أو العقلية فيه، وإرجاعه بالتأويل إليها إذا خالفته، **ومن الخطل بل من الخذلان المُفضي بصاحبه إلى ما يُستعاذ منه،أن يجعل الرأي الاجتهادي غير المعصوم أصلا ويُجعل القرآن المعصوم فرعا**،وأن يعقد التوازن بين كلام المخلوق وكلام الخالق، إن هذا هو الضلال البعيد ، ما أضاع المسلمين وفرّق جامعتهم ونزل بهم إلى

....

هذا الدَّرْك من الهوان إلا بعدهم عن هداية القرآن وجعلهم إياه عضين وعدم تحكيمهم له في أهواء النفوس ليُكَفكِفَ منها، وفي مزالق الآراء ليأخذ بيدهم إلى صواها وفي نواحي الفتن ليُجلي غماءها، وفي مُعترك الشهوات ليَكسِر شرقه وفي مفارق سُبُل الحياة ليهدي إلى أقومها، وفي أسواق المصالح والمفاسد ليُمَيِّز هذه من تلك وفي مجامع العقائد ليُميّز حقّها من باطلها، وفي شعب الأحكام ليقطع فيها بفصل الخطاب...»[1].

وهؤلاء أرادوا أن يبعدوا الناس عن الكتاب والسنة إبعادا كليا وذلك بغلق باب الاجتهاد بحيث يصبح كل من أراد فهم نصوص الكتاب والسنة مفسدا في الدين بل يصفونه بالزنديق مع أن الله تعالى قال:﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر:١٧]، فقد يسّر الله كتابه وآتى نبيَّه ﷺ جوامع الكلم، وهذا يُبين أن الواجب هو التفقه في الكتاب والسنة والدعوة إليهما لأن فيهما خيرَي الدنيا والآخرة.

---

(١) الآثار(٤/٢٢٦).ولقد وصل الحد بأحد أئمة الأحناف ـــ وهو الإمام الكرخي ـــ إلى أن قال:«كل حديث على خلاف رأي الإمام فهو منسوخ أو مؤوّل أو ضعيف، وكل آية على خلاف رأي الإمام فهي منسوخة أو مؤولة»، فجعل من آراء الإمام أبي حنيفة ـــ رحمه الله ـــ حكما على الكتاب والسنّة وكان الواجب أن يحكّم الكتاب والسنّة على أقوال الرجال وهذا هو شرُّ الإغراق في التمذهب وتحكيم آراء الرجال، وبمثل هذه الآراء ابتعد الناس عن التفقه في الكتاب والسنة وبذل الوسع لفهمهما فهما صحيحا.

....

ولقد وجدنا أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يتعاملون مع ظواهر النصوص فيهموها من خلال ذلك، وإن كان ذلك الفهم خلافا لمقصد الشارع كما حدث لعدي بن حاتم -رضي الله عنه- مع قول الله عز وجل: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ [البقرة:١٨٧]، فقد جاء في تفسير الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ:«عن عدي بن حاتم قال أتيت رسول الله فعلمني الإسلام، ونعت لي الصلوات كيف أصلّي كل صلاة لوقتها، ثم قال:إذا جاء رمضان فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتمّ الصيام إلى الليل. ولم أدر ما هو ففتلْت خيطين من أبيض وأسود فنظرت فيهما عند الفجر فرأيتهما سواء، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت:يا رسول الله كل شيء أوصيتني قد حفظت غير﴿ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ ؟ قال:وما منعك يا أبا حاتم؟ وتبسّم كأنّه قد علِم ما فعلتُ، قلتُ:خيطين من أبيض وأسود فنظرت فيهما من الليل فوجدتهما سواء ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤي نواجده، ثمّ قال:ألم أقل لك ﴿ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ ؟ إنما هو ضوء النهار وظلمة الليل »وفي رواية أخرى«قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم:ما ﴿ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ أهما أبيض و أسود ؟ فقال : إنّك لعريض القفا إن أبصرتَ الخيطين ، ثم قال:

....

لا ولكنه سواد الليل وبياض النّهار»[١]. فانظر كيف أن الصحابيّ أعمل ظاهر النص ولم يُؤاخذه النبي ﷺ على ذلك، بل اعتدّ بصيامه الذي صامه من قبل وهو صحيح، ففي هذا دليل أن الإنسان إذا بلغه الكتاب والسنّة وكانت عباراتهما واضحة ومفهومة فله أن يسارع إلى العمل بما بدى له من ظاهر النص[٢]، وهذا هو ديدن الأئمة الأعلام الذين يُحاولون دوما ربط الناس بالكتاب والسنّة، فيقول الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ أنّه يجب على طالب العلم إذا أراد أن يُحسن فهم الكتاب والسنّة أن ينظر إلى ظاهر الآية ويعلم معناها ثمّ يُراجع بعد ذلك أقوال أهل العلم فيها. وكذلك بالنسبة إلى الحديث ينظر إلى ظاهره فيفهم معناه ثم يراجع أقوال أهل العلم فيه، لأن تلك النظرة الأوّليّة المجرّدة تعطي الفهم السليم للآية أو الحديث، وهذا كلّه يُبيّن أن الكتاب والسنّة إنّما جاءت نصوصها ليَحكُم بها النّاس في جميع جزئيّات حياتهم وهذا ما يدفعهم إلى العمل بالنّص إذا كان واضحا جليّا.

---

(١) "جامع البيان في تأويل القرآن"، المسمّى تفسير الطبري(٢/١٧٨).

(٢) وقد ذهب أحد علماء المالكية في تفسيره وهو الصاوي إلى القول بكفر من عمل بظواهر نصوص الكتاب والسنة، والعياذ بالله.

....

ولمّا أراد هؤلاء أن يغلقوا باب العيش مع الكتاب والسنّة جاءوا إلى باب الاجتهاد فغلقوه وجعلوا للمجتهد شروطا تكاد تكون خياليّة، وهذا المسلك في التعامل مع نصوص الكتاب والسنة غير سليم.

الأصل السابع (١)

و لما كان الله وترا يحب الوتر ؛ أردت أن أختم هذه الأصول اليافعة بأصل سابع يحتوي على كلمات نافعة ؛ يزيد العقد جمالا و بهاءً ، والمؤمن اعتصاما و استمساكا بدينه ، قال ﷻ: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الزخرف ٤٣] و قال ﷻ: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران ١٠١] ،. ومن زاغ عنه –أي عن هذا الأصل– فقد ضل و غوى وكانت نهايته الهلاك و الردى ؛ قال ﷻ: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [فصلت ٢٢-٢٣] ، وقـــال ﷺ : " تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك " (١).

---

(١) هذا الأصل العظيم هو كمال الدين (٢)، و قد بينه المولى ﷻ بقوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة ٠٣]، فبين سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه أكمل دينه ورضيه لنا ، وفيهـــا

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٦٥١٩) وابن ماجه برقم (٤٣) وصححه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه .

(٢) و لي رسالة مفردة في بيان هذا الأصل العظيم ؛ عنوانها :"إرشاد الحيارى و التائهين إلى معرفة كمال الدين" ، وقد طبعت مؤخرا فليرجع إليها من شاء .

دلالة أيضا أن ما يأتي من الكمال سبحانه وتعالى إلا الكمال ، فصفاته كمال و أفعاله كمال و أسماؤه كمال ؛ فلا حاجة للمؤمنين بعد هذا إلى غيره ، قال جل وعلا - موضحا ذلك في قصة آدم عليه السلام لما أنزله إلى الأرض بعد ارتكابه للمعصية وتوبته النصوح منها -: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه ١٢٣] ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة ٣٨] ؛ فرحمة الله بنا واسعة ولطفه أعظم ، فلم يكلنا إلى أنفسنا سبحانه وتعالى لأنه علم ضعفنا وحاجتنا و افتقارنا إليه افتقارا ذاتيا ، فعلى المسلم أن يدرك هذا الأصل العظيم فإن به نجاته وسعادته في الدنيا و الآخرة ، و لكمال شرعه أوجب علينا عند الإختلاف أن نرد ما اختلفنا فيه إليه في أي مسألة من المسائل التي لها ارتباط بالدين ؛ و في أي زمان ومكان، ولو لم يكن هذا الدين يفي بجميع ما يحتاجه الناس لما أوجب سبحانه وتعالى ذلك، قال سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ و قال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ

....

ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء ٥٩] ، و قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء ٨٣] ، وقال عليه السلام -في موطن لما كان الأمر فيه راجعا إلى تجربة الناس و خبرتهم - :"أنتم أعلم بشؤون دنياكم"[1] .

و ليحذر المسلم من بعض مقالات الذين طعنوا في دين الله من حيث لم يحتسبوا و لم يشعروا ؛ حيث وصل هم الأمر إلى القول بأن الدين لا يفي بعشر معشار ما الناس بحاجة إليه ، فيلزم على قولهم هذا أن الله ﷻ لم يجعل لنا كتابا نرجع إليه عند الإختلاف لفصل النزاع و جمع الكلمة على الحق ؛ وهذه من المحاولات التي يريد أن يدخل منها أعداء الله من اليهود والنصارى وغيرهم لإبعادنا عن دين الله الحق ، و ليست هي وليدة اليوم بل وُجدت من قديم ؛ فهذا نبي الله محمد ﷺ قال له كفار قريش : ﴿ ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ فأمره الله ﷻ أن يرد عليهم بقوله ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ

---

[1] أخرجه أحمد (١٢٨٦) و مسلم (٤٣٥٨) و ابن ماجه (٢٤٦٢) .

....

﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾ [يونس ١٥] ، ويفيدنا هذا الجواب الرباني النبوي أن ديننا دين اتباع لا دين عقل و ابتداع .

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الله قد ختم الرسالات برسالة نبيه محمد ﷺ و لم يجعل للبشرية حاجة إلى رسول غيره ؛ فلذلك ختم دينه وأكمله بهذا الشرع الحنيف ، فلا حاجة بنا إلى دين غيره ، ومن ظن هذا الظن السيئ فقد كفر ، قال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران ٨٥].

فاعتصموا عباد الله بدينكم و استمسكوا به فإنه العروة الوثقى ؛ وإن الله لم يحوجكم إلى غيره ، و العجب العجاب أن أهل الباطل ينصح بعضهم بعضا بل يأمر بعضهم بعضا بالتمسك بباطلهم و الثبات عليه و الصبر على ما يلاقونه في سبيل ذلك ؛ قال سبحانه وتعالى : ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ [ص ٠٦] ، فأنتم أحق بذلك منهم وأولى لأنكم على حق و هم على باطل و الله المستعان .

بحمد الله تعالى

المحتويات

مقدمة ٠٣

الأصل الأول :إخلاص الدين لله و بيان ضده و هو الشرك ٠٩

–جماع الدين أصلان : ١٠

–كمال العبودية و الإخلاص بكمال تحقيق التوحيد ١١

–فساد الإخلاص بأمرين : ١٣

–تحقيق الإخلاص لا يعني ذم الصالحين و التنقص من قدرهم ١٦

الأصل الثاني : الأمر بالاجتماع في الدين و النهي عن التفرق فيه ١٨

–الأخوة الدينية واجب شرعي و فرض محتم ١٩

–البدعة مقرونة بالفرقة و السنة مقرونة بالجماعة ١٩

–تحقيق التوحيد سبب مؤثر لحصول الاجتماع و الوحدة بين المسلمين ٢٢

–رابطة الإسلام و الدين أقوى من كل رابطة ٢٤

–شعائر الدين كلها جاءت للحفاظ على الأخوة الإسلامية ٢٥

–نهي الشرع عن كل ما يؤدي إلى تفكيك هذه الرابطة الأخوية ٢٦

–الأسباب المؤدية إلى انفصام الأخوة الشرعية : ٢٧

–الشرك من أكبر بواعث الفرقة و التراع ٢٧

–البدعة من أسباب تشتيت الصف الأخوي ٢٨

–الحسد و خطره على المجتمع ٣١

الأصل الثالث : من تمام الاجتماع السمع و الطاعة لمن تأمر علينا ٣٤

–الأحاديث و الآثار المروية عن السلف الصالح في الأمر بوجوب طاعة أولي الأمر ٣٥

–ضابط طاعة أولي الأمر فيما يأمرون به ٣٦
–أولوا الأمر هم الأمراء و العلماء ٣٨
–طاعة العلماء مشروطة بطاعة الله و إتباعهم للحق ٣٩
الأصل الرابع : بيان العلم و العلماء و الفقه و الفقهاء و بيان من تشبه بهم وليس منهم . ٤٢
–ما هي حقيقة العالم و أوصافه ٤٣
–قيمة العلم و حقيقته ٤٤
–ضرورة المزج بين العلم و الإيمان للحصول على الثمرة المرجوة منهما ٤٨
–أصناف الناس في تلقي العلم ٤٩
–ترئيس الجهلة رأس كل شر و فساد ٥٠
–سبب البدع هو إهمال العمل و الانضباط بقواعد العلم الشرعي الصحيح ٥١
الأصل الخامس : بيان الله سبحانه لأوليائه و بيان المتشبهين بهم من أعداء الله. ٥٢
–حقيقة الولاية الربانية و الطريق إليها ٥٣
–من هم أولياء الله ٥٤
–أقسام الولاية ٥٦
الأصل السادس : رد الشبهة التي وضعها الشيطان لترك القرآن والسنة واتباع الآراء و الأهواء المتفرقة ٥٩
–وجوب تحكيم الكتاب و السنة و التحاكم إليهما في جميع شؤون الحياة ٦٠
–التحذير من الوقوع في مزالق الآراء و التأويلات و التعصب للمذاهب في مقابل النصوص الشرعية ٦١
–وجوب التفقه في الكتاب و السنة و الدعوة إليهما ٦١
الأصل السابع : كمال الدين ٦٥

مكتبة الغرباء الأثرية - الجزائر

18 شارع أحمد حسينة - بجوار مسجد السنة - باب الوادي الجزائر

هاتف: 09 62 96 021 الجوال: 50 23 30 070

البريد الإلكتروني: elghorabaa@hotmail.com